حال المؤمنين بعد رمضان

إخوة الإيمان:

بالأمس القريب كنتم في شهر رمضان المبارك شهر الرحمة والمغفرة والعتقِ من النار، تصومون نهاره، وتقومون ليله، وتتقربون إلى ربكم بأنواع القربات، طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، ثم انتهت تلك الأيام الفاضلة، والليالي المباركة، وقطعتم بها مرحلةً من حياتكم لن تعود إليكم أبداً، وإنما يبقى لكم ما أودعتموه فيها من خيرٍ أو شر: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ، وهكذا كل أيام العمر مراحل تقطعونها يوماً بعد يوم، في طريقكم إلى الدار الآخرة، فهي تنقص من أعماركم وتقربكم من آجالكم ، لقد رحلَ شهرُ الطاعات بأعمالكم، وخُتِمَ على ما قدمتُم فيهِ من طاعاتكم، والشهورُ والأعوام، والليالي والأيام، إنما هيَ مقاديرُ للآجال، ومواقيتُ للأعمال، تنقضي سريعًا، وتمضي جميعًا، والموتُ مِيعادٌ مؤقتٌ لا يُؤخَّرُ من حضرت ساعتهُ، اللّبيبُ يا عبادَ اللهِ هومَن تفكّرَ في مآله، والحازمُ من تزوّدَ لارتحاله، والعاقلُ من جدَّ في صالحِ أعمالِه، ولا تهدموا ما بنيتم في شهر رمضان من الأعمال الصالحة، فإن من علامة قبول الحسنة إتباعها بالحسنة، وإن الرجوع إلى المعاصي بعد التوبة منها أعظم جرماً وأشد إثماً مما كان قبل ذلك، وإن أمامكم ميزاناً توزن فيه حسناتكم وسيئاتكم: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ.

اعلموا عباد الله: أنَّ استقامةَ المُسلم وصلاحَه وثباتَه و مداومته على الطاعة بعد شهر رمضانَ المُبارك هي الأساس الذي يُقاسُ عليه قبولُ الله عز وجل فريضةَ الصيام والقيام، وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ، ومن ذاق حلاوة الصيام والطاعة في شهر رمضان المُبارك ينبغي عليه ألا يتركَها، لأن من ذاق عرَف ومن عرَف غرَف، أخي...كنت تصوم....وتقوم الليالي...و ها هي قد انتهت تلك الأيام، تأمَّلَ في المصِير، فهنيئا لمن جانَبَ التقصير، و تفكَّرَ في ذُلِّ المصير، فاجتنَبَ الحرام، ونظرَ في عيوبه، فاستغفرَ لذنوبه وأناب، ثمَّ جدَّ واجتهد، وجاهدَ وصمد، وعلم أن أمامَهُ يومٌ لا يُغني فيه قول ربِّ ارجعون، ولا يَنفَعُ فيه مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، معاشرَ المؤمنين الكرام: لقد رحلَ شهرُ الطاعات بأعمالكم، وخُتِمَ على ما قدمتُم فيهِ من طاعاتكم.. والشهورُ والأعوام، والليالي والأيام، إنما هيَ مقاديرُ للآجال، ومواقيتُ للأعمال، تنقضي سريعًا، وتمضي جميعًا، والموتُ مِيعادٌ مؤقتٌ لا يُؤخَّرُ من حضرت ساعتهُ، والأيامُ خزائنُ حافظةٌ للأعمال: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.

معاشر المؤمنين الكرام: لقد كانَ للجدِّ في رمضان رونقًا بهيًا، وطابعًا زكيًا، استطعمت القلوبُ حلاوةَ القرآن، وتلذذت النفوسُ بروحانية القيام، وانشرحت الصدورُ بصنوف الخيرات والطاعات، وكم من نفوسٍ تعلمت وتربت؛ و كم من همٍ سمت وعلت، وكم من عزائمٍ قويت واشتدت، فاهتزت وربت.. ثم أينعت وأثمرت، فأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيج.. وليعلم ذوو الألبابِ أن المسارعةَ في الطاعات، والمسابقةَ في الخيرات ليست مقصورةً على مواسم وأزمنةٍ مُعينة، بل هي عامةٌ لجميع حياة المسلم، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ، وَقَالَ سُبحَانَهُ عَن عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وإنما خُصت بعضُ المواسمِ بمزيد فضلٍ، رحمةً من الله ومِنحة؛ ليستكثرَ العبدُ من الخيرات، وليتدارك بعضَ ما فرطَ فيه أيامَ الغفلات، فغَدًا تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَت، وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا، إِنْ أَحسَنُوا، أَحسَنُوا لأَنفُسِهِم، وَإِنْ أَسَاؤُوا، فَبَئِسَ مَا صَنَعُوا، وهل يصحُّ لمن أصبحَ سيدَ نفسهِ أن يعودَ باختياره، ليقعَ أسيرًا للخطايا والذنوب، وحُقَّ للمؤمنِ أن يتساءل: فأين أثرُ رمضان إذا هُجِرَ القرآن؟ وأينَ أثرُ الطاعةِ إذا تُركت صلاةُ الجمعة والجماعة وخاصة البردين، وأينَ أثرُ الصدقاتِ والقُرباتِ إذا انتُهِكت المحرمات، فلنتأمل كلامَ ابن القيم رحمه الله إذ يقول: فبين العملِ والقلبِ مسافة، في تلك المسافةِ قُطَّاعٌ تمنعُ وصولَ العملِ إلى القلب، فيكونُ الرجلُ كثيرَ العملِ، وما وصلَ منهُ إلى قلبه محبّةٌ ولا خوفٌ ولا رجاءٌ ولا زهدٌ في الدنيا ولا رغبةٌ في الآخرة، ولا نورٌ يفرقُ به بين أولياء اللهِ وأعدائه... ثم يقول رحمه الله : فلو وصلَ أثرُ الأعمالِ إلى قلبه لاستنارَ وأشرقَ، ورأى الحقَّ والباطل، فيا أهل الطاعة، إنَّ الله لا يريدُ من سائرِ عباداتنا مجرد الأفعال والحركات، وإنما يطلبُ منا سبحانهُ ما وراءَ ذلك من الهُدى والتقوى و الإخبات.

ولا تنسوا الحديث القدسي الصحيح: يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفّيكم إياها، فمن وجدَ خيرًا فليحمد الله، ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، أي من أخره عمله عن دخول الجنة فليس نسبه هو الذي يسرع به إليها، بل العبرة بالعمل الصالح مع المدامة عليه، فما أجملَ الطاعةَ ، تعقُبها الطاعة، وما أبهى الحسنةَ، تتبعُها الحسنة، تِلكم هي الباقياتُ الصالحات، التي رغَّب فيها ربُّ الأرضِ والسموات، وحثَّ عليها أشرفُ البريات صلوات الله وسلامه عليه، وفي مداومة المسلمِ على الطاعة بعد مواسمِ الخيرِ المضاعفةِ دليلٌ على الهداية والتوفيق، ففي الحديث الصحيح: خيرُ الناسِ من طالَ عمرهُ وحسنُ عمله.وفي الحديث الصحيح: إن اللهَ لا يَملُّ حتى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ أدومها وَإِنْ قَلَّ... واطلبوا من الله العونَ والهداية، وتأملوا هذه الوصية النبوية الغالية: يا مُعاذُ: وَاللهِ إني لأُحِبُّكَ، فلا تَدَعَنَّ دُبرَ كُلِّ صلاةٍ أن تقولَ: اللهم أَعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادَتِكَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون، ولئن كانَ رمضانُ قد ودعنا فإن الأعمالَ الصالحةَ لا تتوقفُ برحيله، وإنما رمضانُ مدرسة، فمن ذاقَ حلاوةَ الصيامِ والقيام في رمضان فليعلم أن البابَ سيظلُ مفتوحًا للمواصلة بعد رمضان.

خطبة الجمعة ليوم 12 أبريل 2024 م